محاضرة1: الدولة العباسية (132-656هـ/750-1258م)

"النشأة -مراحل الحكم السياسي- النظم"

1/ الدولة العباسية"النشأة والتكوين":

هي ثالث خلافة إسلامية حاكمة بعد خلافة النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة والخلافة الأموية، وقد تمكن مؤسسوها من الوصول إلى سدرة الحكم بعد أن أزالوا بني أميّة وقضوا على أغلبهم؛ وإن كان بعض منهم قد نجى ولجأ إلى الأندلس(كعبد الرحمان بن معاوية بن هشام)، ذلك أنه حين تعرضت الدولة الأموية للضعف والتراجع بعد وفاة الخليفة"هشام بن عبد الملك" سنة743م، جاء من بعده أربع خلفاء شهدت الدولة على عهدهم الانقسام الداخلي والحروب إضافة إلى تراجع الأوضاع الاقتصادية وهو ما أثر سلبا على النظام القائم.

في المقابل من ذلك برزت على الساحة حركات سياسية معارضة لحكمهم والتي ظهر وجودها بشكل فاعل في الأقاصي البعيدة عن مركز السلطة بخاصة في العراق وإيران، وكان من أبرز أطراف المعارضة: الحزب الذي كان يقول بأحقية سلالة علي بن أبي طالب بالخلافة، وكذلك طرف آخر مقابل وهو الحزب القائل بأحقية سلالة عباس بن عبد المطلب، حيث عمل دعاة الحزب الأول على إثارة الفتن والتمرد من خلال شن ثورات على الحكم الأموي دفع ثمنها عدد من قادته من أمثال: الحسين بن علي عام680م، وزيد بن علي 740م بعد أن ثار في الكوفة.

أمّا إتجاه المعارضة الثاني والذي مثله أتباع العباسين فقد التزم أصحابه الهدوء طيلة عهد الدولة الأموية مستغلين ضعف وتردي الأوضاع الداخلية وخاصة الاقتصادية لتفجير ثورتهم ؛كما استغلوا حالة التمييز العنصري التي انتهجها الأمويون في التعامل بين العرب وغير العرب في إسناد المناصب والوظائف العليا، خاصة ما تعلق منها بجهاز الضرائب والجيش، وهذا ما ساعدهم على تشكيل جبهة من المعارضة تضم فئة كبيرة من هؤلاء، لهذا ذهب الكثير من المؤرخين إلى اعتبار أن الدعوة العباسية كانت بمثابة ثورة لها أبعاد دينية واقتصادية واجتماعية تزعمها الفرس ضد العرب.

ويرجع تأسيس الدولة العباسية لعدد من الرجال هم من سلالة "العباس بن عبد المطلب" وهو أصغر أعمام النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث استندوا في تأسيس دولتهم على عنصر الفُرس ممن كانوا ناقمين على حكم الأمويين نظرا لتهميشهم واستبعادهم من تولي المناصب والوظائف العليا في الدولة مع استئثار العرب بها، فضلا عن ذلك فقد سعوا إلى استمالة الشيعة لمساعدتهم على زعزعة وضرب استقرار الدولة الأموية وإسقاط نظامها.

وقد كان الرجل الأول الذي عمل على إنجاح الدعوة العباسية هو"محمد بن علي بن عبد الله بن عباس" وساعده في هذه المهمة ابنه إبراهيم ونظرا لذلك فقد تعرض هذا الأخير للاعتقال والسجن من طرف آخر الحكام الأمويين "مروان بن محمد" وبقي مسجونا إلى أن توفي عام 746م، فتولى مسؤولية متابعة شؤون الدعوة أخ له اسمه:" أبو العباس" مستعينا في إدارة أمور هذه الحركة الناشئة على دعم قائد من الجند الفرس كان متواجدا بمنطقة خراسان يسمى "أبومسلم الخراساني" والذي أسهم بشكل مباشر في التعجيل بإعلان قيام الدولة العباسية في خراسان، خاصة وأنه قد حارب والي الأمويين هناك وتمكن من الانتصار عليه، وأسفر هذا الإنجاز عن فتح المجال لانتقال أبو العباس

إلى الكوفة سنة 742م؛ حيث بقي بها مدة من الزمن متخف عن الأعين إلى غاية سنة 750م، ليتوج جهده بمبايعة أهل الكوفة له بالخلافة، وكان هذا الدعم حافزا له لمواجهة الخليفة الأموي"مروان بن محمد".

وعلى إثر هذا الانتصار المحقق تم اللقاء بين الطرفين حيث التقى الجيش الأموي بقيادة الخليفة "مروان بن محمد" وجيش العباسيين بقيادة "أبي العباس" في منطقة شمال العراق بالقرب من نهر الزاب ، وكان الانتصار لصالح العباسيين، حيث تمكنوا على إثرها من فتح العراق وبلاد الشام، كما وجهوا أنظارهم إلى مصر وبسطوا نفوذهم عليها وخضعت لهم بذلك العديد من الأمصار ليتم الإعلان رسميا عن تأسيس الدولة العباسية؛ وبويع أبو العباس خليفة لها ولقب"بالسفاح"، وكان من نتائج ذلك أن أقدم على نقل عاصمة الدولة إلى الكوفة خلافا لعاصمة الأمويين دمشق.

لرغم هذه الإنجازات المحققة إلاّ أنّ سلطة "أبو العباس" لم تدم طويلا ليتوفى سنة 754م، فأخذت البيعة على إثر ذلك لأخيه"أبو جعفر المنصور"، والذي تميّزت فترة حكمه بعديد الإنجازات؛ إذ شهدت الدولة مظاهر تطور حضاري من خلال أعمال التشييد والبناء التي كان من أبرزها تشييد مدينة بغداد على نهر دجلة ونقل عاصمة الخلافة إليها، كما عمل جهده على تأمين الثغور وتوفير سبل المال وهذا ما انعكس إيجابا على الحالة الاقتصادية، وكان من نتائجه توسيع النفقات فامتلأت خزائنه بالأموال، وبعد وفاته تولى أمور الخلافة ابنه محمد المهدي الذي استكمل مسار وجهود أبيه إذ عمل هو الآخر على تحسين الخدمات الداخلية للدولة من إصلاح للطرقات واهتمام بمجال الزراعة ونظم هيئة البريد وسعى جاهدا لتحقيق العدل والرخاء، ممهدا بذلك لظهور العصر الذهبي لسلالة آل العباس.

وقد تعددت عواصم الدولة العباسية تبعا لتطوراتها السياسية وظروفها الأمنية وكانت كالتالي: في البدأ اتخاذ الكوفة(750-766م)/ ثمّ بغداد(766-836)- وبعدها مدينة سامراء(836-892م)/ ثم العودة لبغداد ثانية (892-1261م)- / وكانت القاهرة هي المحطة الأخيرة لعواصمهم(1261-1517م).

2/**حكام الدولة العباسية:** لقد تعاقب على حكم الدولة عدد من الخلفاء كان لكل خليفة أثره وبصمته، ومن أبرز الأسماء الذين تُشيد المصادر بإنجازاتهم نجد:

-أبو العباس عبد الله السفاح،حكم 5سنوات/-أبو جعفر المنصور تولى بعد أخيه ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة فهو من سنّ قوانينها ونظم سياستها، وقد حكم مدة21 سنة/ - هارون الرشيد كان أكثرهم شهرة لعظيم إنجازاته في مجالات مختلفة وقد بويع بالخلافة عام 170هـ وحكم23سنة/- أبو عبد الله محمد الأمين ابن هارون الرشيد انتقلت إليه الخلافة سنة 193هـ وحكم مدة 4سنوات/ ثم عبد الله المأمون ابن هارون الرشيد(حكم6سنوات)/ المعتصم بالله(24سنة)/ المتوكل على الله(14سنة).

3/ **مراحل حكم الدولة العباسية:**

لقد مرت الخلافة العباسية بمراحل سياسية ومحطات تاريخية هامة ومختلفة تأرجحت فيها بين القوّة والنفوذ، وبين التراجع والانحصار، وأحيانا بتسليم زمام السلطة لنفوذ أطراف من غير البيت العباسي وفيما يلي موجز عن كل مرحلة:

أ/ **العصر العباسي المزدهر**: وهو عصر شباب الدولة وتطورها وشهد مرحلتين(المرحلة الأولى: التأسيس750-785م/-المرحلة الثانية: التطور أو ما يعرف بالعصر الذهبي(785-847م).

ب/ العصر العباسي الثاني: ويُعرف أيضا بعصر الحرس التركي، والذي تميز بسيطرة العنصر التركي على دواليب الحكم مما أحدث فجوة وسمح بظهور الاضطرابات السياسية والفتن وكان ذلك على فترتين (الأولى من 847إلى 862م وخلالها ظهرت بوادر الانهيار/(والثانية من 862-1055م)وشهدت الفتن والتمزق والحروب الداخلية مع الاغتيالات في أوساط الحكام.

ج/ العصر العباسي الثالث: وسمي بعصر آل سلجوق، حيث شهد بسط نفوذ السلاجقة على زمام الحكم خلال الفترة الممتدة من 1055-1092م، وأعقبه نشوب حروب السلاجقة وانتهاء سلطة دولتهم في الفترة مابين1092-1136م، لتليها مرحلة أخرى استطاع فيها الخلفاء العباسيون أن يستعيدوا السيطرة على بغداد مدة تتراوح مابين 1136-1242م إلاّ أنّ الأمر لم يستمر بعد ذلك وأسفر عن نهاية الدولة عهد خلافة المستعصم بالله 1242-1258م).

د/ العصر العباسي الرابع: وعرف بعصر السلطنة المملوكية، وذلك لتمكن المماليك من تقلد زمام الحكم وعلى إثره تقلص النفوذ العباسي وانحصر في القاهرة 1261-1517م ثمّ تلاه بعد ذلك زوال خلافتهم(1517- 1967م).

4/ النظم الإدارية للدولة العباسية:

أ/نظام الحكم: هو أساس السلطة ومظهر السيادة وكان الخلفاء العباسيون يستمدون شرعيته من الإسلام ويمثل هرم السلطة الخليفة وهو يجمع صلاحيات واسعة بين الزعامة الدينية والسياسية، كما أن النظام المتبع كان يخضع لقاعدة ولاية العهد أي توريث منصب الحكم بين أبناء الأسرة الحاكمة، يضاف إلى ذلك رجالات الدولة الذين يتقلدون مهام ووظائف لمساعدة الخليفة في إدارة شؤون الحكم والإشراف على تنفيذ مايقرره الخليفة من ولاة الأقاليم والوزراء وقادة الجيش والقضاة وغيرهم.

ب/ الجيش: كان الجزء الأكبر منه متمركزا ببغداد، إضافة إلى جيوش منفصلة كانت موزعة في الولايات لحماية الثغور والدفاع عن أراضي وممتلكات العباسيين في الأقاليم التي تخضع لسلطتهم، وكانت تخصص نفقاته من خزينة الدولة ومن مهامه أيضا الجهاد والدفاع عن الدولة من الاعتدءات الخارجية وتوسيع حدودها عن طريق عمليات الفتح، وتوفر له مختلف الأسلحة لخوض الحروب من سيوف ودروع ومنجانيقات.

ج/ الدواوين: هي مؤسسات تنوعت اختصاصاتها وكانت في الأساس تضم سجلات الدوائر الرسمية للدولة بهدف إحكام تنظيمها وترتيب أمورها من خلال تلك الوثائق التي تُرتب وتُحفظ من طرف عمال يتم انتقاؤهم بعناية لتقلد مهام تُسند لهم في تلك الدواوين وقد تنوعت بتنوع وظائفها واختصاصاتها فنجد منها ديوان الجند،البريد،الخراج، المظالم...إلخ

د/ الشرطة: مثلت الجهاز الأمني الذي من خلاله يتم الحفاظ على الأمن العام والآداب في المجتمع ومحاربة ظواهر الفساد والمفسدين مع تنفيذ القوانين لتحقيق الردع ومواجهة الظواهر المخلة كمنع تعاطي الخمور وارتياد الملاهي وأماكن الفساد.

خريطة توضح مجالات نفوذ الدولة العباسية

المـــــــــراجع:

-الطبري(أبو جعفر محمد)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف بمصر،ص،ص109-111، 141-142، 198-200.

-حسين عطوان، الدعوة العباسية"تاريخ وتطور"، ط2، دار الجيل، بيروت، 1995.

-أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلميّة والاجتماعية والاقتصادية والفنيّة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشقن1997.